القسم الثانى
مظاهر الانتقال من الجزيرة العربية
الى
وادى النيل
(مصر والسودان)

الفصل الثامن عشر
القبائل العربية التى هاجرت
إلى السودان

قبيلة بلي ومملكتهم البجاوية :

كانت بلي " هي القبيلة العربية الأولى التى هاجرت إلى السودان من الجزيرة العربية . وكانت مساكن هذه القبيلة في الجزيرة ، قبل الإسلام ، في شمالى اليمن والمناطق الواقعة جنوبى نجد ، وشمالي أرض الشحر المختلفة والسودان الشرقي بل ومصر أيضا حتى فلسطين . يظهر أنها كانت قبيلة كثيرة العدد وافرة القوة ، إذ أنها استطاعت أن تثبت أقدامها في أجزاء كبيرة من الحجاز ، ثم سارت شمالا إلى أراضى فلسطين حيث أقامت جماعات

obeikandl.com

منها ، ثم انحدرت بعض هذه الجماعات وغيرها عبر سيناء جنوبا إلى شواطئ البحر الأحمر السودانية حيث كانت تسكن قبائل البجة ، واختلطت بها شيئا فشيئا . ثم تتابعت أفواجها من الحجاز واليمن وعبرت البحر الأحمر عند باب المندب ومن المراسى القريبة من جدة إلى الشواطئ السودانية حتى غطت جميع إقليم البجة من عيذاب شمالا إلى مصوع ودهلك جنوبا حيث مواطن القبائل البجاوية .

وكانت هذه الهجرات قد بدأت قبيل القرن الثالث قبل الميلاد . وقد أرخت قبائل البجة لهذه الهجرة باستعمال كلمة " بلويب وبلوييت " لهذه الأمة العربية التى نزلت في أراضيها . فالبلويب في لغة البجة هم البلويون الذين نزحوا إلى أراضيهم ، والبلوييت هى اللغة العربية التى كان يتكلم بها أبناء قبيلة بلي . وكانوا هم أول من تحدث باللغة العربية في إفريقيا .

وما لبث زعماء هذه القبيلة العربية أن أخذوا في مصاهرة زعماء البجة . وكما هى طبيعة العربي فقد كانوا يفخرون بنسبهم العربي وأصلهم ، ولذلك فانهم لم يقبلوا أن يزوجوا بناتهم إلى زعماء البجة رغم أنهم أصهروا فيهم ، وكان زعماء هذه القبيلة يتطلعون إلى نزع السيادة من البجة على سائر شعوبهم وتقلد تلك الرئاسة . وقد استغلوا ذلك الدستور البجاوى (ومثله النوبي) الذى يجعل زعامة القبائل والممالك آنذاك في يد ابن البنت أو الأخت ، ومن ثم فقد ورث أبناء زعماء بلى الذين كانت أمهاتهم من بنات زعماء البجة الملك والزعامات القبلية عن طريق هذا الدستور . وبناء على ذلك ما لبث أن انتشر زعماء بلي الهجناء في سائر ممالك البجة ، وأطلق عليهم فيما بعد لفظ الحدارب ومفردها حِدْرِبي كما ذكر القلقشندى . وأصبح لهؤلاء الحدارب مكانة خاصة لدى البجة لأنهم

من عنصر عربي عظيم المحتد ، ومن أمهات بجاويات أميرات من البيت المالك البجاوى . وجمع هذا المعشر نخوة العربي ، وجسارة البجاوى .

ولما كان البلويون قد اختلطوا بالبجة فإن نفوذهم غطى مملكة البجة بأجمعها ، وسادوا على أرضها ، وكان يقع عليهم الدفاع عن أراضيها ضد كل من يعتدى عليها من الشمال مثل البطالسة والرومان والعرب ، ومن الجنوب الشرقي ضد أي هجوم من أراضى أكسوم وبلاد الحبشة . ولذلك فقد كان لهؤلاء البجة وزعمائهم من الحدارب أهمية تاريخية ترجع إلى دفاعهم المجيد عن تلك الأراضى البجاوية السودانية .

وفي أرض البجة كانت هناك مناجم الذهب التى كان يسيل لها لعاب الأمم المتعاقبة على حكم مصر ، فكان كل من البطالسة والرومان قد وطنوا أنفسهم على استغلال تلك المناجم والاستحواذ على ما تدره من ذهب . وكان البجة يرون أن في سياسة هاتين الأمتين تهجما على أملاكهم ، وأنه لابد لهم من الوقوف ضد هذا العدوان . لذلك فقد كانوا يجاهدون جهادا عظيما ضد ذلك العدوان حتى لا يستغل الأجانب ثروات بلادهم . وقد حدثت حروب ومواقع كثيرة بين البطالسة والروم وبين مملكة البجة على مدى عدة قرون خسر فيها الفريقان كثيرا من الرجال دون أن تحسم هذه الحروب بحرب فاصلة بينهما .

ولما كانت هذه الهجرات العربية قد حدثت قبل الإسلام ، فان البلويين والبجة أيضا كانوا وثنيين وليس هناك من دليل واضح على أيهما كان صاحب النفوذ في ترسيخ الوثنية في مملكة البجة ، أهم البلويون أم المصريون . غير أن الثابت تاريخيا أن هذه الأمم من حدارب وبجة قد كانت تدين بالوثنية .

ويذكر بعض المؤرخين أن بعض جماعات البلويين كانت قد اعتنقت المسيحية ، فان حدث مثل هذا الاعتناق فلربما تم عن طريق هجرات بلوية من أراضى فلسطين حيث كانت المسيحية منتشرة ، ولربما قدمت بعض هذه الجماعات العربية البلوية المسيحية إلى شرقي السودان . الا أن الكثرة الغالبة من بلي وسائر البجة كانوا وثنيين .

ومع أن قبيلة بلي قد عرفت باسم الحدارب بعد اختلاطها بالبجة الا أن أسمى بلويب وبلوييت ما زالا قائمين بين هذه الأمة ، وكانا دائما يشيران إلى الزعامة والرئاسة والسيادة في لغة البجة وفي أحاديثهم المتوارثة عن أبناء بلي الذين انصبغوا بعادات البجة ودمائهم ولغتهم . ولم يعد هناك فرق بين الزعماء والرعية إلا في المنصب والتقدير الذى يكنه الشعب لزعمائه الذين رضي بهم .

غير أن هذه الزعامة البلوية المطلقة أخذت تتزعزع بعض الشئ عندما بدأت القبائل العربية المسلمة في الهجرة إلى أرض البجة منذ القرن الأول الهجري إذ أخذ بعض المهاجرين من العرب والمسلمين في الاستيطان في مناطق البجة ، ثم اشتدت هذه الهجرة في حوالي سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م حين نزحت قبيلة ربيعة من موطنها الأخير في نجد إلى أرض العلاقي حيث مناجم الذهب . وكان وادى العلاقى يمثل جزءا من ممالك البجة . وقد اشتدت وطأة هذه الهجرات على البجة . وكان مع أبناء ربيعة جماعات من مضر وأخرى من القبائل اليمنية مثل جهينة وبلى التى كانت قد أسلمت وهاجرت بعد الإسلام . وكما مر بنا فقد كانت كل هذه القبائل قبل الإسلام ، بل قبل الميلاد تعيش في موطن واحد في شمالي بلاد اليمن قبل أن تتفرق أيدى سبأ . ولعل تلك القبائل كانت على اتصال نوعا ما ببعضها بعضا طيلة تلك

القرون التى تفرقت فيها ، إذ أنه ما جاءت سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢ م حتى رأيناهم يجتمعون مرة أخرى في وادى العلاقى أحد أهم مراكز مملكة البجة وزعمائها من بلي .

وفي هذه المرة اختلطت قبيلة ربيعة العدنانية بزعماء البجة من الحدارب البلويين . وكما فعل البلويون حين صاهروا البجة قبل أكثر من ثمانية قرون أخذ زعماء ربيعة في توارث الزعامة القبلية من البلويين .ولما جاءت سنة ٣٣٢هـ / ٩٣٤ م زار المسعودى المنطقة وذكر أن زعيم البجة وربيعة هو بشر بن إسحاق ، وأن أخواله من الحدارب هما عبدك وكوك ، وأنهما زعماء البجة وهو معهما . كما ذكر المسعودي بأن بشرا هذا كان يركب في ألف من ربيعة ، ومثل ذلك من كل من مضر واليمن ، كما كان يركب معه ثلاثون ألف محارب من البجة على ظهور الإبل .

يضيف المسعودي وغيره من مؤرخي العرب بأن ربيعة قويت على من ناوأها من القبائل العربية بفضل هذه المصاهرة مع الحدارب. كما أن البجة وعلى رأسها الزعماء البلويون قووا على من عاداهم من الناس. ولا شك فى أن زعماء بلي كانوا فى أوج عظمتهم وقوتهم فى تلك الفترة .وما لبث أبناء ربيعة أن انصهروا فيهم أي تلك الفئة من ربيعة التى كانت تسكن فى أراضى البجة، والتى اختلطت بهم اختلاطا كاملا، بينما كانت عشائر ربيعة الأخرى التى كانت تعيش بالقرب من أسوان قد أخذت فى مصاهرة النوبة فى منطقة أسوان حتى منطقة دنقلة .

ويبدو أن زعامة بلى قد أخذت تضمحل شيئا فشيئا فى شمال شرقي السودان خاصة عند ما قويت شوكة مملكة النوبة فى عهد الملك داود الذى هجم على ميناء عيذاب وخربها وقتل من فيها من رجال البجة وتجارها ،

وتعقب فلول بلي ومن معها من جماعات حتى أوغلوا في داخل صحراء البجة في الأراضي السودانية بعيدا عن أيدي الملك النوبي .

ومع أن غزوة داود هذه كانت وبالا على البلويين في عيذاب إلا أن الأمر ازداد سوءا عندما قام المماليك في عهد السلطان برسباى[١٣] بضرب عيذاب ضربة قاضية تركت المدينة أثرا بعد عين ،كما شردت من بقى من زعماء بلي من الحدارب وقذفت بهم جنوبا في أراضي البجة حتى وصلوا إلى سواكن ، أي انهم قطعوا ما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين ميلا من الحدود البجاوية الشمالية متوغلين داخل أراضيهم جنوبا .

ولم تكن سواكن في بداية أمر البلويين قد احتلت مكانتها الاقتصادية والتجارية المرموقة التي ظهرت بها في القرن السابع والثامن الهجرى عند ما اصبح أبناء الشريف نمى المكي القرشي حكاما عليها بعد أن صاهروا حكامها من البلويين وآلت إليهم حكومتها .وكانت سواكن في ذلك الوقت اقل أهمية من عيذاب ، حيث نقل السكان العرب ، بل كانت سواكن ثغرا صغيرا قليل الأهمية ، أما بعد نكبة عيذاب على يد الملك داود أولا ، والسلطان المملوكي برسباى ثانيا فيما بعد ، فقد أصبحت سواكن الوريث الشرعي لعيذاب .وكان حكام سواكن من البلويين قد ضعفت قوتهم بسبب نفوذ الأشراف ، ثم ما لبث أن انقضى عهد الأشراف واخذ البلويون يستعيدون نفوذهم في مدينة سواكن.

---

[١٣] كان سلطانا على مصر من ٨٢٥ – ٨٤٢ هـ ١٤٢٢ – ١٤٣٨ م

بيد أن نفوذهم هذا كان قصير الأمد ، إذ سرعان ما وصلت إلى سواكن طلائع عربية من الحضارم[١٤] الذين قدموا من بلادهم واستقروا فيها ثم ما لبثوا أن عز جانبهم بحكم اشتغالهم بالتجارة بين سواكن والخارج ، وفتح منافذ للتجارة مع الأراضي السودانية فى الداخل ، وربما فعلوا كما فعل من سبقهم من الأشراف فاصهروا فى زعماء بلى وورثوا عنهم السلطة فى سواكن وبذلك اصبح الحدارب هناك تبعا لهم ورعية ، وتغير اسم الحضارم من اللفظ العربي إلى آخر هو أرتيقة ، وهذا اللفظ لفظ بجاوى معناه " الزعيم " وصاروا بذلك هم زعماء سواكن وسادتها ،[١٥] وأخذ نفوذ البلويين العسكري والاجتماعي يتقلص في هذه المدينة أيضا حتى ظهرت أول دولة عربية إسلامية في السودان سنة ١٥٠٤م وهي سلطنة الفونج .

كانت تلك السلطنة العربية الإسلامية التى ظهرت في السودان آنذاك هى سلطنة الفونج ، وسيأتى الحديث عن تكوينها وقيامها في موضع آخر . وكان وزراء هذه المملكة هم أبناء عبد الله جماع الذين عرفوا بالعبداللآب أي آل عبد الله باللغة التبداوية (البجاوية) . وجاء أحد هؤلاء الوزراء وهو الشيخ عجيب المانجلك إلى سواكن من عاصمته قَرِّي بالقرب من الخرطوم ، وأيد حكم الأرتيقة على سواكن بعد أن كان سلطان الفونج قد آزرهم بإرسال كتيبة من الخيالة لمحاربة البلويين . واستطاعوا هزيمة هؤلاء الذين كانوا يحكمون سواكن ، وأصبح الأرتيقة هم أصحاب الحكم في المدينة وما حولها .

---

[١٤] ارجع لعنوان الحضارم فى هذا الكتاب وكذلك فى كتاب محمد صالح ضرار بعنوان " تاريخ سواكن والبحر الاحمر " وما كتبه عن الارتقه

[١٥] ارجع للحديث عن الحضارم في هذا الكتاب .

وهكذا سقطت دولة بلي في سواكن أيضا ، وأصبح من بقى من البلويين بغير نفوذ في مملكة البجة في هذا الجزء من الإقليم أيضا ونزحوا إلى المناطق النائية في داخل أراضيهم ومملكتهم .

غير أن سلطانهم استمر مزدهرا في جنوبي مملكة البجة وذلك في مدينة مصوع التى كانت آخر معقل لسلطان البلويين في ذلك الإقليم .

ولم يحدث أن ضعف سلطان بلي في هذه الجهات أو زال ، بل استمر في قوته حتى ظهر الأتراك في المنطقة سنة ١٥٢٠ميلادية حين بدأ البرتغاليون في الاستيلاء على شواطئ المحيط الهندى في إفريقيا ، وحين بدأوا في دك المدن الهندية والعُمانية واليمنية والسودانية والحجازية والمصرية بالمدافع . وقد كان أسطولهم القوي المدجج بالمدافع الثقيلة يحاصر موانئ هذه البلاد الواحدة بعد الأخرى ، ويستعرض عضلاته ، ويرمى قنابله المدمرة المخيفة فلم يترك كلكتا ، أو مصوع أو موانئ عُمان ، أو عدن أو سواكن أو جدة أو السويس . وكانت كل هذه الموانئ أضعف من أن تقف أمام ذلك المارد الجبار الذى يملك أعظم أسلحة الدمار في ذلك العصر . [١٦]

ولم ينقذ الموقف الا ظهور القوة الإسلامية الجديدة في بزة الأتراك العثمانيين الذين سرعان ما بدأوا في بناء أسطول حربي في خليج السويس وسلّحوه بالمدافع والرجال ، وأنزلوه في البحر الأحمر لتطهيره من الخطر البرتغالى والتعصب المسيحي . وكان أن أظهر العثمانيون مقدرتهم على مواجهة هذا الخطر الأوربى ، والحد من فتكاته في البلاد الإسلامية .

---

[١٦] قاوم الحضارمة الأسطول البرتغالى حين رسا في بلادهم ، وأنزل قواته واستطاعوا التغلب على تلك القوات فلاذت بالفرار .

وكانت مصوع التى تقع في جنوبى البحر الأحمر ذات أهمية قصوى لهذا الأسطول العثمانى الذى ما إن نزل رجاله في مصوع حتى قابلهم ملك البلويين المسلم بكل ترحاب . و كان البلويون قد اعتنقوا الدين الإسلامي منذ أن نزل بعيذاب والى مصر عبد ا لله بن سعد بن أبى سرح سنة ٣١هـ . وهكذا تم التحالف بين البلويين والعثمانيين في مصوع على أن يقفا معا ضد التحالف المسيحي الذى قام بين الحبشة والبرتغاليين .

ومنطقة مصوع هذه التى تمتد من مصوع (باضع) إلى سواكن شمالا ، وإلى كسلا جنوبا مرورا بمناطق التيجرى في إرتريا هى في واقع الأمر عبارة عن مملكة بقلين وجارين البجاوية ، وهما من ممالك البجة الخمس التى ذكرها كل من اليعقوبى وابن حوقل . وتسكن في مملكة بقلين هذه قبائل البجة التى عرفت باسم بني عامر – هذا الاسم العربي القح . وقد حدث اختلاط كبير موغل في العراقة في سكان هذه المملكة . فسكانها خليط من البجة الأصليين الذين رأى فيهم سلجمان وغيره من علماء الأجناس أنهم من نفس الأصول التى ينتمى إليها قدماء المصريين . ووجد أن جماجمهم لها نفس التكوين والشكل الذى عليه جماجم قدماء المصريين . وبالإضافة إلى هذا الشعب فهناك أفواج عربية كانت تفد إلى البلاد الفينة بعد الأخرى ومن بين تلك الأفواج بعض عشائر بلي التى سيطرت على المنطقة .

ومملكة بقلين وجارين البنى عامرية تتكون من وديان وسهول ، ونجد أن أبناء السهول يتحدثون في الغالب باللغة البنى عامرية والتى تعرف أيضا

باللغة التيجرية والحاساوية [١٧] (أو الخاساوية) ويطلق عليها أحيانا الحبابية . وهى لغة سامية ربما كانت من أقدم اللغات السامية التى ظهرت قبل العربية الفصحى والتى ما زالت تستعمل حتى الآن ويتحدث بها عدد يبلغ أكثر من خمسمائة ألف شخص في السودان وإرتريا . ولهذه اللغة أشعارها وأغانيها التى ينشدها ويغنيها كثير من الناطقين بها .

أما سكان الجبال سواء أكانوا في منطقة قبائل بني عامر أو في ممالك القبائل الأربع الأخرى وهي الأمارأر والبشارين (البشاريون) والهدندوة والحلنقا فإنها جميعا تتحدث اللغة التبداوية أو ما يسمونها أحيانا بالهدندوية نسبة إلى قبيلة الهدندوة وهى من كبريات قبائل الإقليم الشرقي . وهناك كثير من عشائر البنى عامر الذين يسكنون الجبال مثل دِبِّرْ وَعْنَدلَ وسَرُوَبتْ ممن يتكلمون اللغتين التبداوية والتيجرية . واللغة الأصلية للإقليم والقديمة هى اللغة التبداوية حتى قدم الساميون العامريون إلى جنوبي إقليم البجة فانتشرت بينهم اللغة البنى عامرية .

ويتحدث البلويون في مناطق البنى عامر بالبنى عامرية أما أولئك الذين يعيشون في مناطق الأمارأر والبشارين والهدندوة فإنهم يتكلمون باللغة الهدندوية . وقد كانوا جزءا لا يتجزأ من البجة حتى دالت دولتهم وأصبحوا أقلية في شمالي إقليم البجة . أما في مصوع وما جاورها فما زالوا من سراة الناس وزعمائهم .

وكما أن البلويين كانوا من زعماء البجة ومن طبقة الحكام ، فان بنى عامر أيضا هم في نفس المكانة . ويبدو أنه حدث اختلاط كبير بين هذه

---

[١٧] في أيام المسعودى كان ملك سواكن من الخاساو وذلك حوالى سنة ٣٣٥هـ وتوفى سنة ٣٣٦هـ / ٩٥٦م نقلا عن : محمد صالح ضرار – تاريخ سواكن والبحر الأحمر .

القبائل خلال القرن التاسع الميلادى حيث أظهر اليعقوبى مدى هذا الاختلاط والتقسيم السياسي القبلى للممالك البجاوية .

من هذه الأحاديث يظهر مدى أهمية البلويين كأسرة حاكمة في الإقليم لعدة قرون ، وكيف أنها دافعت عن المملكة البجاوية حتى دخلت القبائل العربية المسلمة وأضاعت سلطانها العربى القديم الموروث . وقد وضحت أهمية هؤلاء البلويين أيضا فيما جاء في كتابات الإدريسى الذى ذكر أن البلويين هم أصحاب الجياد السود الذين أغاروا على أسوان في القرن الثاني عشر . وقيل أيضا إنهم من الروم البيزنطيين وأنهم كانوا مسيحيين ثم إنهم طافوا في بلاد الأحباش والبجة . وكانوا يتحلون بالشجاعة ، واستطاعوا بعزمهم وقدرتهم وحنكتهم أن يخضعوا كل جيرانهم.

وهذا الحديث يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن بلي يمكن أن يكون بعضها قد اعتنق المسيحية خاصة أولئك الذين نزحوا من اليمن إلى فلسطين أولا ، ثم منها إلى إقليم البجة عبر سيناء ، ويعنى هذا أنهم جاوروا إمبراطورية الروم الشرقية ، ومن هنا ربما جاء وصفهم على أنهم روم عندما تحدث الإدريسى عن " روميتهم " .

ومن القبائل التى تحمل اسما قريبا من اسم بلي قبيلة البلين [١٨] التى تسكن في كَرَنْ وما حولها ، فقد يكون لاسمها كما ذكر كروفورد علاقة بالبلويين . وقد حدد الكونت روزيني وجود البلويين إلى القرن العاشر أو الحادى عشر ، ويؤكد أن وجود البلويين في شمالي الحبشة مؤكد منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادى مما يشير إلى اتساع سلطانهم ونفوذهم حتى غطى بعض أجزاء الحبشة بعد ذلك وخاصة بحلول القرن الرابع عشر الميلادي .

---

[١٨] البلين تنطق بالإمالة BILAIN

وقوي نفوذهم في السودان الشرقي حول مصوع في ذلك القرن ، وبلغ الذروة حين وصلت طلائع الحامية التركية في حوالي سنة ١٥٢٠ ميلادية حين نزلت مصوع وأضحت القوة المدافعة عنها ضد الحلف الحبشي البرتغالي .

وقد نزح هؤلاء البلويون من المنطقة التى بين مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث كانوا مقيمين بعد هجرتهم من أطراف اليمن ، وظلوا هناك بينما ذهبت أكثريتهم إلى السودان الشرقي ، ثم ما لبثت أن هاجرت أفواج أخرى منهم عندما أشرقت شمس الإسلام ، وكان أن بقي بعض هؤلاء في صعيد مصر ، بينما اختلط الآخرون بالبجة . وفي مملكة بقلين وجارين اللتين كانتا لقبائل بني عامر ، نجد أن هؤلاء (البلو) قد أقاموا لهم مقرا في أراضي بني عامر الحالية وأطلقوا على مقر زعمائهم الرسمي لفظة " دَقَا " بلغة بني عامر السودان و " زقا " بلهجة بنى عامر إرتريا . كذلك فإن البلويين الذين كانوا حكاما على مصوع اشتركوا في حكمها مع الأتراك حوالي سنة ١٥٥٧ ميلادية .

ويؤكد عرب فقيه مؤلف كتاب فتوح الحبشة أن البلويين كانوا في مناطق البحر الأحمر حول مصوع في سنة ١٥٤٠ م ، ويذكر هذا المؤرخ بأن أحد المسلمين واسمه أورای أبو بكر كان من ذرية (البلو) الذين هاجروا من وطنه في التيجري ، وذهب إلى سلطنة " عادل " الإسلامية في أيام سلطانها سعد الدين أمير عادل في الفترة ما بين سنة ١٣٨٦ – ١٤١٥م. وكان والد هذا الرجل واسمه بلو عبد الله قد تزوج ابنة السلطان سعد الدين وأنجب منها أطفالا من بينهم ولد اسمه " أورای ، وسميت ابنته التى ولدت له " باتية " . وهذا الحديث الذى ساقه عرب فقيه يؤكد أن البلويين الذين

كانوا في تلك المنطقة مسلمون " ، وأنهم قبل ذلك كانوا مقيمين في التيجراى بإرتريا ، وأنها كانت جزءا من مملكة البجة الكبرى ، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادى . [١٩] ويضيف كروفورد بأنه من المعتقد أن البلويين كانوا يسكنون في جنوبى مأرب في النصف الأول من القرن السادس عشر . إلا أن الدلائل التى ساقها اليعقوبى وابن حوقل تثبت أن مملكة بقلين وجارين الجنوبيتين كانتا في عز ومنعة منذ القرن التاسع والعاشر الميلادى ، وأنه ربما كانت هناك وفود بلوية تتقاطر نحو السودان الشرقي طيلة العهود التاريخية التى تلت قيام مملكتهم وزعامتهم في أرض البجة .

ومن بين الذين اهتموا بنزوح بلى إلى السودان الشرقي موزنجر . وقد تتبع أنباءهم في مصوع حين كان مديرا على السودان الشرقي في عصر الحكم المصري للسودان وذلك حين كانت هذه المديرية تمتد من سواكن إلى مصوع وما حولها . وقد ذكر موزنجر بأن البلويين حكموا هذه المناطق لسنوات عديدة حتى أصبح لفظ " بلو " مرادفا للفظ الرئيس أو الزعيم أو السيد . وكان البلويون يمثلون جنود النائب أو حاكم منطقة مصوع الذى كانت لديه ثقة كبيرة في قدرتهم القتالية والحربية . وكانت مناصب الجيش صغيرها وكبيرها بالوراثة ، وكذلك الرتب العسكرية والوظائف الإدارية . وكان من بين واجبات هؤلاء الجنود حراسة القوافل التجارية التى تعبر السودان الشرقي بين مصوع حتى داخل الأراضى الحبشية أو إقليم التاكا حيث موضع ممالك الهدندوة والحلنقا والبنى عامر . وكانت لهؤلاء البلويين مكانة سامية بين سائر القبائل التابعة لهم بل وبين غيرها من الشعوب مثل

---

[١٩] كروفورد : مملكة الفونج في سنار ص ١١٠

الشعب النوبي التابع لمملكة علوة التى كانت عاصمتها سوبة والتى تقع على بعد أميال قلائل جنوبي الخرطوم .

واستمر البلويون في سكنى تلك البلاد وفي سنة ١٨٤٣ زارهم مانسفيلد باركنز في مصوع ، ثم توغل في أراضى السودان الشرقي خلال أرض التيجرى حتى وصل أرض الينابيع في إللات ، ووجد البلويين يسكنون في تلك المناطق وهم بدو قد انتشروا في المناطق التى حول " اركيكو " و " إيلات " .

ومع أن كثير من العشائر البلوية قد ضاعت معالمها إلا أنه ما زالت هناك بعض بطون البلويين التى ما زالت على قيد الوجود . ومن بين تلك البطون اَلعَلْيَدَوابْ ، وهم يسكنون بالقرب من سواكن ،كما توجد قبيلة " سقد " البلوية في توكر " طوكر " ، وهم كما يذكر كروفورد تابعون الآن للكميلاب . وتوجد بطون أخرى في بنى عامر من البلويين مثل " الدروباب " وهم مع بنى عامر في العقيق والبهدور . أما أكبر أقسام البلويين فهى في منطقة مصوع ، حيث يعرفون باسم " النايباب " أي آل نائب وهم بطبيعة الحال ذرية النواب الذين كانوا يحكمون مصوع قبل العهد العثماني وخلاله وفي خلال العهد المصري حتى احتلت إيطاليا هذا الجزء من السودان الشرقي ، وأطلقت عليه لفظ إرتريا وأصبح مستعمرة لها ، ثم أعطى فيما بعد إلى الحبشة ليصبح في فدريشن مع إثيوبيا سنة ١٩٦٢ ، وأخيرا نال استقلاله التام بعد كفاح مرير وذلك في ١٩٩١/١/٢٤م .

وخلاصة القول فإن تاريخ قبيلة بلى في السودان الشرقي تاريخ طويل العهد بدأ في القرن الثالث قبل الميلاد ، وسار في جزر ومد حتى القرن السادس عشر في الأراضى السودانية الحالية ، أما في إرتريا ، فقد استمر

حتى كتابة هذه السطور . وقد كان لهذا الرهط الفضل في انتشار الإسلام في هذه البقاع والاحتفاظ بعروبة المنطقة وساميتها ، كما أنه أقام مدارس للقرآن وأدخل كتابة اللغة التيجرية بالحروف العربية ، وكانت هذه الكتابة سائدة حتى الأربعينيات من القرن العشرين حين انقطعت صلاتها الوثيقة بالسودان الشرقي بعد الحرب العالمية الثانية وقل التزاور والتلاحم بين الجانبين . أما اليوم فقد هاجرت الغالبية العظمى من قبائل بنى عامر التى كان يحكمها زعماء بلي كلاجئين سياسيين إلى السودان ، وما زالوا يجاهدون في سبيل الوصول إلى أهدافهم الوطنية ونيل الحرية والاستقلال وقد تم لهم ذلك أخيرا .

وكما فقد البلويون زعامتهم التى كانوا قد بسطوها على القبائل الناطقة باللغة الهدندوية مثل الهدندوة والأمارأر والبشاريين بنزوح غيرهم من الزعامات العربية فقدْ فقدَ البلويون الذين كانوا يتزعمون قبائل بني عامر في السودان سيادتهم حين هاجمهم الحلف الجعلى العبداللابى في بداية القرن السابع عشر ، وانتصر عليهم عامر بن نابت الجعلى وخيالة الفونج ، واستولى على ملكهم بحد السيف وطردهم من ملكهم علما بأن عامرا هذا هو ابن بنت ملك البلو .

وبهذا الانتصار فان البلويين فقدوا زعامتهم [٢٠] بل وحتى فصيلتهم القبلية ، ولم تبق لديهم أية سلسلة نسب يرجعون إليها إذ أنه أعقبهم على السلطة عامر كملك على قبائل بنى عامر في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادى . وأسس عامر دولة جديدة في قبائل بنى

---

[٢٠] كروفورد : مملكة الفونج في سنار .

عامر ، وهو ابن على (أبو القاسم) الشـادينابى الجعلـى . ومـا زالـت قصـة اعتلائه العرش يذكرها كل من البنى عامر والحباب .

أما اسم بنى عامر فقد ورد سببان في إطلاق هـذا الاسـم علـى هـذه القبائل . أما الأول فهو انهم عرفوا بهذا الاسم لأنهم من أبناء عامر بن كنـو (قنو)كما ورد فى روايـات القبيلـة وتراثهـا وانهـم يرجعـون بنسـبهم هـذا وأصلهم إلى اليمن .أما التفسير الثاني لهذا الاسم فهو يعود إلى عـامر الجعلـى الذى كان والده قد تزوج بابنة ملك البلو الحاكم على قبائل بنى عامر ومـن ثم نسبت القبيلة إلى هذا الرجل الجعلى [٢١].

وفى هذا الشان تقول روايـة بنـى عـامر إن المدعـو (أبـو القاسـم) أحد زعماء الجعليين هاجر من منطقة النيـل بـالقرب مـن شـندى وذهـب إلى جبال البلو شرقي كسلا ، وكان رجلا متفقها فـى الديـن ، حريصـا علـى نشر تعاليمه. واسـتوطن بـين البلويـين فـى جهـات التاكـة (كسـلا) ، وأمَّ دروسه بعض البلويين وكانوا يسألونه من اين اتى فكان يرد عليهم بأنه نبـت من الارض . ومن هنا جـاءت كلمـة (نابتـاب) التـى أطلقـت علـى أسـرته وعشيرته فيما بعد ، وهى الأسرة التى تزعمت بنى عـامر بأكملهـا وأصبـح زعماؤها هم ملوك القبيلة فيما بعد حتـى يومنـا هـذا سـواء أكـان ذلـك فـى الأراضي السودانية أم فى إرتريا . وتزوج على (الجعلى) بابنة ملك البلويين ولكن بعض أقارب هذا الملك وجماعـات مـن زعمـاء القبيلـة لم يرضـوا بهـذه

---

[٢١] الارجح هو ان عامر الجعلى النابنابى سماه جده لامه بهذا الاسـم ليعيـده إلى الأصـل البلـوى طالما كان ابن بنته او ليصبح فردا من عائلة البلويين ونرى أن الأقرب إلى الواقع هو ان جذور هذه القبيلة واسمها انما يرجعان إلى قبيلة بنى عـامر بـن صعصعـه العربيـة التـى كـانت فـى ارض اليمـن وارتريـا والسودان منذ القرن السادس الميلادى .انظر الحديث عن قبيلة بنى عامر فى هذا السفر .

المصاهرة ، وشق عليهم أن يتزوج ابنتهم رجل غريب ولو انه ينتسب إلى العباسيين ، غير أنهم لم يقروا ملكهم على تلك المصاهرة. فما كان منهم إلا أن قتلوا عليا الجعلى فى اجتماع لهم فى مكان يسمى مَلْهابْ وقد دفن علي فى ذلك الموقع وبنيت على قبره قبة فيما بعد تكريما له لأنه من علماء الاسلام فى تلك المواطن. وما زالت هذه القبة موجودة في مكان يدعى " عايش اقنيب " ومعناه المكان الذى تعلق فيه الأشياء)[٢٢] . وما لبثت زوجة علي أن وضعت ولدا سمى عامرا . وتقول بعض الروايات إنه كان طفلا صغيرا عندما قتل أبوه .

لما كبر عامر عرف بما كان قد دبر لوالده من قتل ، وعرف موطن أجداده لأبيه ، فاستقر رأيه على أن يرحل من ديار البلويين إلى النيل للتعرف على أهله . ولما عزم على المسير أعطته أمه مخلفات والده كما هى عادة العربان هناك ، وكانت تلك المخلفات عبارة عن سيف والده وسلسلة نسبه والمصحف الشريف .وخرج عامر من أرض البلويين في موضع يقال له " أمبوريب " واتجه غربا نحو النيل حتى وصل إلى ديار الجعليين ، وانتهى إلى المتمة عاصمتهم . ولما كان جيبه خالي الوفاض ، فقد عرض سيفه في السوق للبيع . ولكن تعرف على السيف بعض الجعليين وذهبوا به إلى زعيمهم الذى عرف أنه سيف علي الذى خرج إلى أرض البلويين . ولما مثل عامر أمام ملك الجعليين وسئل عنه أجاب بأنه سيف والده ، وقص عليهم ما حدث لأبيه في دار البلويين . ولم يكد ينتهى من سرد قصته حتى قرر ملك الجعليين أن يجمع جموعه ويستنجد ببعض خيالة الوزراء العبدالاب وخيالة سلطنة الفونج للخروج إلى البلويين وأخذ ثأر على منهم . ولما أن تمت استعدادات الجيش

---

[٢٢] باللغة البني عامرية .

وتكاثر عدده خرجوا بأجمعهم إلى عاصمة البلويين ودليلهم على تلك البلاد عامر ، واستطاعوا أن يلتقوا برجال قبيلة البلويين بالقرب من سواحل البحر الأحمر على مقربة من ميناء العقيق في مكان يعرف باسم " أسَرَمَ درْهِيبْ " أى التلال السبعة[٢٣] . وهناك دارت معركة حامية بين الجعليين وخيالة سلطنة الفونج من ناحية ، وبين رجال البلويين من ناحية أخرى ، ودارت الدائرة على البلويين ، وانهزموا في المعركة ، وتشتت شملهم في البلاد ، وقتل ملك البويين خال عامر في أثناء المعركة ، وفر باقى المقاتلين حتى لم يبق منهم أحد .

لما انقضت المعركة بانتصار عامر وأهله تولى عامر الملك على البلويين نيابة عن خاله ، وأصبح هو المسيطر على الموقف ، ودانت له القبيلة بحكم قانون الوراثة السائد في البلاد واعترفت به ملكا عليها تحت تاج سلطان الفونج الذى دانت له كل أراضي السودان في ذلك الوقت .

وقد تابع كروفورد هذه الأحداث والروايات لتحديد التاريخ الذى حدثت فيه ، فهو يقول بأن استيلاء عامر على الملك كان قبل أربعة أجيال من جيل الشيخ موسى زعيم النابتاب الذى توفى سنة [٢٤]١٧٣٠ ميلادية . وربما كان هذا هو الشيخ موسى بن عمر قنو (أو كنو) الذى كان نائبا أو حاكما في مصوع سنة ١٦٩٣موذلك نقلا عما كتبه الكونت روزينى . وقد أطلق الكونت روزينى على هذا الشيخ " عامر كنو " . وبمتابعة هذه الأجيال استطاع كروفورد أن يحدد التاريخ الذى استولى فيه عامر على الملك وأثبته

---

[٢٣] باللغة التبداوية .

[٢٤] الموافق ١١٤٣هجرية

بأنه حوالى سنة ١٦٠٠ م [٢٥]، وهذا على ما ذكر يتمشى مع رواية العبداللاب التى ترجع تعيين على نابت الى الوزير الشيخ عجيب الأول . وعلى هذا هو جد قبيلة أو أسرة النابتاب الجعلية التى استولت على ملك جارين وبقلين بالسودان وإرتريا والتى اتحدت مع بقية أجزاء السودان تحت لواء الفدريشن الفونجى .

هذا التاريخ الذى إليه كروفورد يتعاض مع ما ذكره في حديثنا عن بني عامر (في موضع آخر) إذا أثبتنا ما جاء في حديث كاتب الشونة وهو أن تاريخ تولى عامر الملك كان حوالي سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦ - ٧٧م ، وكما أوردنا فالمسألة في حاجة إلى مزيد من الدراسة لمن بعدنا .

بهذه الطريقة سقط لواء عظيم من ألوية البلويين في شرق السودان وانهارت الأسرة البلوية الحاكمة في مملكة بنى عامر ، واحتلت مكانتها أسرة النابتاب منذ ذلك التاريخ حتى هذا اليوم .

ويطلق أبناء بنى عامر على مقر ملوكهم من البلويين ثم النابتاب لفظ " دقا أو دقة أو زقا " ، كما أن المنطقة معروفة لديهم باسم " دنقواز " وهي واقعة في إحدى منحنيات خور بركة وذلك على بعد تسعين (٩٠) ميلا شمال شرق مدينة كسلا . ويعزى النطق بالدال أحيانا وبالزين أحيانا أخرى على " دقا " بسبب الاختلاف في اللهجات بين سكان البنى عامر القريبين من الساحل والبعيدين منه ، وفي جهات مصوع وما حولها تنطق بالزين . ويحمل هذا اللفظ " دقا " معنى عاصمة ، كما يسمى رئيس القبيلة " دقلل " ويقال عن عاصمته " دقا دقلل " ، وما زال هذا اللفظ مستعملا حتى هذا اليوم . وكلمة دقلل مرادفة لكلمة رئيس أو زعيم أو ملك وهى

---

[٢٥] الموافق ١٠٤٠ هجرية

تؤدى كل هذه المعانى . ويسكن دقلل أى ملك البنى عامر من عائلة النابتاب في عاصمته هذه .

وبعد انهزام البلويين من قبل جيش الفونج والعبدالاب والجعليين انتشروا في البلاد وأصبحوا يسكنون في ملتقى خور بركة وخور الأرديب أى في المنطقة المجاورة " لدنقواز " منطقة العاصمة .

وبالرغم من انهيار مملكة البلويين وتشتتهم ، وزوال نفوذهم في أكثر بقاع بنى عامر ، إلا أن بقاياهم ما زالت تعتز بتاريخهم الطويل الحافل ، وأصلهم العربي العريق . ومما لا ريب فيه أن هؤلاء البلويين قد خلفوا وراءهم تاريخا حافلا واسما كبيرا في بلاد البجة عامة سواء الناطقين باللغة التبداوية أو أولئك الذين يتحدثون باللغة البنى عامرية . ولعل أقدم اشارة عنهم فيما كتبه الغربيون ما جاء على لسان البرتغالى الفارز الذى كتب عنهم قائلا :

" في نهاية مملكة البجة فإن بالحبشة بعض الأمم التى تدعى (بلو) ، وهم خاضعون لملك الحبشة برستورجون ، كما أنهم يدفعون له جزية عبارة عن أعداد كبيرة من الخيول . وفي شمالي حدود هؤلاء البلو يوجد شعب يدعى النوباي ، وهؤلاء يقولون بأنهم كانوا في الماضي مسيحيين وأن روما كانت تحكمهم .

وبعد قرن من ظهور ألفارز أى في حوالى سنة ١٦٤٠ ذكر بايز paez بأن المملكة العظيمة التى تقع بعد مملكة التيجرى هى مملكة دقوين Daguin ، وأن هذه المملكة يسكنها شعب أسود اللون جدا ، وهم مسلمون ويدعون (بالبلو) . وهم بكل تأكيد البلويون الذين ذكرهم ألفارز ، والذين لم يكونوا من رعايا الحبشة ، ولكن على علاقة طيبة بهم .

وقد كانوا يمدون ملك الحبشة بجياد أصيلة كثيرة ، ولكن كانت هذه الخيول لا تعيش طويلا بسبب أمراض تفتك بها هناك في أرض الحبشة . ويصف بابيز هذه الخيول التى تزود مملكة بلى بها الحبشة ويقول بأنها أحسن من الخيول التيجرية . كما يذكر بأن بلى هذه تعيش بالقرب من سواكن ، ويضيف بأن امبراطور الحبشة تحدث مع أحد أمراء البلويين عن خيلهم وعن أن الخيول التى تجلب من دقوين هى من أحسن الخيول التى حصل عليها .

ويضيف كروفورد بأنه يبدو من حديث بابيز أن موطن البلويين في ذلك الوقت كان منطقة التاكا أى كسلا ودلتا القاش . ومازال هذا الاسم معروفا وموجودا في الخرائط السودانية حيث تظهر قرية أو حلة صغيرة في السودان الشرقى باسم " دقوين " . وهذا الاسم يجذبنا إلى تذكر ما كتبه ابن سليم الأسوانى عن شعب يدعى " ديجيون " أو " ديجيون " بالجيم حينا وبالحاء حينا آخر والذى ذكر بأنهم قوم من الناس يسكنون في نهر عطبرة بين البجة وأطراف مملكة علوة [٢٦].

ومضى كروفورد في هذا الحديث نقلا عن المصادر البرتغالية في القرن السابع عشر الميلادى قائلا بأن ألمايدة Almeid البرتغالي الذي كان في شرقي إفريقيا بين سنة ١٦٢٨ و١٦٤٣ كان قد رسم خريطة للمنطقة تتفق مع ما رسمه ألفارز في بعض التفاصيل . وقد كتب أحد معاوني ألمايدة على الخريطة اسم " بلو " على كلا جانبى النيل كما كتب كلمة نوبيا فوق هذا الاسم . وفى الخريطة الثانية التى رسمها المعاون كتبت كلمة " دغيم Degheim " وفوقها " بلو Ballous " ، وفوق هذه " الفونج Funchas " .

---

[٢٦] ذكر ابن حوقل أيضا على أنها منطقة زراعية فى جهات كسلا ص. ٦١ ، صورة الأرض .

كما كتبت كلمة بلو على نفس خط عرض مدينة سواكن (سواكم) . وتظهر هذه الخرائط شعب البلو في شمال وشمال غربي إقليم التيجري .

وأظهر ألمايدة الفونج ملوك سلطنة سنار وقد ساواهم مع البلو ، ولو أنه وضع كلا على حدة . كما أنه وضع البلو أيضا في منطقة فازوغلى مجاورين للأحباش في تلك الأماكن .وهذا الوضع يتمشى مع ما يراه الأحباش من انتشار النفوذ البلوي من مصوع حتى يصل إلى منطقة فازوغلى . وكان الأحباش يستعملون كلمة بلو لجنود ملوك سنار وجيشهم الذى حاربهم في سنة ١٦١٨ في " ساركى " [٢٧]. ويبدو أن العلاقات بين الأحباش والبلو لم تكن ودية لأن المصادر الحبشية تذكر بأنه في سنة (١٧٤٨) أغار الأحباش على البلويين والضباينة[٢٨] . وفي سنة ١٦٣٣ ذكر باراداس Barrdas أن البلويين كانوا مجاورين للحماسين بالقرب من أسمره بإرتريا مما يدل على أنهم كانوا منتشرين حول جبال أسمره . وأضاف بأنهم كانوا يملكون خيولا أكبر حجما من تلك التى كانت عند الحماسين ، كما أنها كانت أحسن شكلا . ويقول لودولفس Ludolfus ، في سنة ١٦٨٢ م بأن ملك سنار كان قد استولى على بعض أراضى مملكة النوبة القديمة ، ويعنى بذلك أنه قضى على مملكة علوة وعاصمتها سوبة واستولى على أراضيها جنوبي الخرطوم ، ولما أراد أن يحدد موقع مملكة النوبة ذكر بأنها كانت تجاور مملكة البلو . وأضاف بأن ملك البلو كان يحكم سواكن [٢٩] وأنه

---

[٢٧] كروفورد ص ١٨٣ . كذلك نجد أن عرب فقيه ذكر أن البلو كانوا يساعدون أحمد قران في حروبه مع الحبشة حوالى سنة ١٥٢٤م .

[٢٨] هم بنو ذبيان الذين هاجروا إلى السودان .

[٢٩] اقرأ الحضارم في هذا الكتاب .

على علاقات ودية مع الأحباش . وقد أورد باراداس ما يفيد بأن ملك الفونج كان يقتسم إيرادات سواكن مع الأتراك. وكان الأتراك منذ حوالي سنة ١٥٤٠ قد أنزلوا حامية في سواكن كما فعلوا في مصوع لحماية الأراضى الحجازية من إغارات الأسطول البرتغالي ، وعدم إعطائه الفرصة ليتخذ قاعدة بحرية له في البحر الأحمر وذلك للحفاظ على أمن الحجاج القادمين إلى الحرمين الشريفين من سائر أنحاء العالم ، سواء من إفريقيا غربا أو الهند وآسيا شرقا . وقد ذكر لوبو أن حاكم سواكن التركي الذى يدعى " باشا سنار " كان يتقاضى إيرادات جمارك مصوع وموخا ، ولكنه لم يكن يسكن في هاتين المدينتين ، بل آثر السكن في سواكن بسبب الحركة التجارية الكبرى التى كانت فيها ، والتى كانت رائجة بين مناطق مملكة البلو والأحباش ،والتى كانت تمر بسواكن ومنها يجنى إيراداته . وكما هو معروف فإن قوافل الجمال التى كانت منذ القدم تحمل التوابل ، وخاصة أحمال الفلفل ،كانت للبجة الذين كانوا رعايا البلويي . وكان كل من الملوك والرعية يمثلون حماة هذه التجارة وغيرها من التجارة عبر أراضيهم وفوق ظهور جمالهم التى لم تكن تدانيها وسيلة أخرى . ومن هذه الناحية ، وبسبب هذا الأمن ، فقد كان لكل من البلويين والبجة نفوذ عالمي فى ميدان التجارة الحرة بين الشرق والغرب إذ لولاهم لما وصلت التوابل من فلفل وقرنفل وقرفة وعاج وذهب وجلود وأبنوس وغيرها إلى أنحاء العالم الشرقي والغربي .

ويقول لوبو بأن البلو كانوا جنودا ممتازين ، وأنهم كانوا قد خاضوا حروبا دامية مع الأتراك الذين أجبروا على أن يتنازلوا عن بعض إيرادات جمارك سواكن لهم . وقد وضع ملك البلويين بعض جنوده وموظفيه في

سواكن لاستلام إيرادات جماركها . وكان الملك البلوى غنيا ولديه الكثير من الذهب والفضة ، وكان هذان المعدنان يستخرجان من وادي العلاقي ومنطقة جبيت المعادن ، وكلا الموقعين يقع في أراضي مملكة البجة . وكان من بين ما يشتغل به البلويون والبجة تجارة الأقمشة القطنية إذ كانت زراعة القطن معروفة في دلتا طوكر والقاش ؛وكان هذا القطن يغزل وينسج في سائر أنحاء مملكة علوة ويصنع منه قماش " الدُّمُور " القطني، الذي كان يستعمله كافة سكان السودان في ملبسهم تماما كما كان المصريون في السابق يستعملون الكتان في صنع ملابسهم . وكان الدمور القطني ومازال ، من أكثر المنسوجات ملاءمة لطقس السودان الحار . وكانت تجارة هذه الأقمشة رائجة في السودان حيث أن الأهالى كانوا يعتمدون عليها كل الاعتماد في ملبسهم .وكانت تدر إيرادات كبيرة للبلويين ، كما كانت تعتبر نوعا من العملة المتداولة للمقايضة .

وبالإضافة إلى ما يأخذ ملك البجة البلوي من رسوم جمارك سواكن ، وما يتقاضاه الأتراك منها ، فانه قد جعل لسلطان الفونج نصيبا أيضا من تلك الإيرادات بوصفه صاحب السيادة على الأرض ، إذ أنه كان هو المسئول عن السماح للبضائع والسلع لكي تدخل أراضيه وتصل إلى مناطق السودان الشاسعة ، كما كان سلطان الفونج يسمح بأن تصدر من أراضيه السلع الأخرى مثل الذهب والرقيق وريش النعام والعاج والأبنوس والسمن وغير ذلك مما كان رائجا في تجارة العالم القديم .

ويلاحظ أن انتشار البلويين في الأراضى السودانية لم يكن قاصرا على أرض البجة وحدها ، بل إنه كان ممتدا إلى الحدود الجنوبية الشرقية في السودان حتى يصل إلى جبال فازوغلى حيث كان كل من البلويين والبجة

يشكلون الحاميات الفونجية في تلك الأصقاع . وكانوا هم بحق حماة الحدود ضد الاعتداءات الحبشية على طول الحدود من فازوغلى حتى مصوع . وقد تتبع كروفورد نشاطهم الدفاعي هذا وخرج بنتيجة مؤداها أن هؤلاء البلويين كان لهم الشأن الأكبر في نجاح مملكة الفونج لبسط نفوذها على أرجاء السودان التى كانت تحت حكمها . ويؤكد كروفورد في حديثه أن البلو الذين كان يعتقد بأنهم كانوا في مناطق بني عامر وحدها ، قد أسهموا بنصيب وافر مع شعبهم البنى عامري في توسيع نطاق سلطنة الفونج في كثير من المناطق التى تقع خارج مملكة بني عامر وذلك حتى بداية القرن التاسع عشر عندما ظهرت حكومة محمد على باشا في السودان سنة ١٨٢٠م .

وقد لاحظ كروفورد ما لم يسبقه أحد عليه وهو سعة نفوذ البلويين في السودان ، فيقول بأن للمرء أن يعجب كيف أن هذه القبيلة وحدها قد استطاعت أن تمد سيطرتها على جزء كبير شاسع من أراضى السودان (مساحة مملكة البجة وحدها مائة و عشرة ألف ميل مربع) بحيث تتساوى هذه الأراضي مع سلطنة سنار التى كان يحكمها ملوك الفونج . ويبدو أن مملكة البلو كان لها دور هام في إنشاء مملكة الفونج وتوطيد دعائم ملكها فى السودان . وقد يمتد هذا النفوذ البلوى حتى يشمل أصول الفونج وعلى رأسهم عمارة دونقس الذى نجد أن اسمه الثاني "دونقس" قد اشتق من اسم عاصمة البلويين " دونقواز " الواقعة على خور بركة . ومن يدرى فقد يكون عمارة الفونجى قد هاجر من موطنه هو وأسلافه وسكن في عاصمة البلو " دونقواز " وأنه اتحد مع البلويين وبدأ فتوحاته معهم حتى مناطق جبال فازوغلى ، ثم اتجه غربا من هناك حتى وصل سنار ، وضرب سوبة عاصمة مملكة علوة مع عبد الله جماع زعيم القواسمة ، وأسس سلطنة الفونج ، كما

خطط عاصمتها سنار . وقد كان معروفا لدى الأحباش المجاورين لفازوغلى أن البلويين كانوا هناك أيضا كما كانوا في مصوع وحول أسمرة حتى كرن وكسلا مع رعاياهم من البجة . كما أن البلو كانوا أصحاب إغارات على حدود الحبشة على الدوام . ولم يتوقف تهديد البلو للأحباش في إثارة هذه الغزوات من حين لآخر ، بل نجد أن الإمبراطور الحبشى ميناس (١٥٥٩ – ٦٣) كان قد تعرض إلى محاولة اغتيال قام بها رجل بلوى يدعى " رعد " . وقد ذكر ذلك ألمايدة كما ذكرته الروايات الحبشية . وقد يكون رعد هذا أحد زعماء البلويين .

في الوقت الذى ازداد فيه نفوذ البلويين في المناطق النائية عن أراضي البجة حيث مملكتهم ووصل إلى سلطنة الفونج في سنار ، كانت سرايا من القبائل العربية توالى ضربهم في عقر دارهم البجاوية ، وأخذت تستولى على سلطاتهم الواحدة بعد الأخرى . وقد رأينا كيف أنه قضى عليهم في " دنقواز " الجعليون وجيوش الفونج وكيف استولى عامر بن علي نابت على ملك أخواله البلويين . كذلك فإننا نجد غير الجعليين من أبناء المهاجرين العرب قد ورثوا بقية الممالك البجاوية البلوية الباقية .

ليس هناك ما يؤكد بلوية عمارة دونقس لأنه كما يعرف تاريخيا لم يكن وحده الفونجي ، ولكن هناك شبه تأكيد على أنه قامت وحدة واتحاد سياسي حربي بين البلويين وعمارة دونقس مما ساعده على تأسيس مملكته في سنار ، وإن قبائل بنى عامر التى كان يحكمها البلويون كان لها أبعد الأثر في تثبيت دعائم السلطنة الزرقاء أى سلطنة الفونج كما كانت تدعى أحيانا ، كما كانت مملكة بني عامر هذه تمتد حتى داخل إرتريا لتصل إلى مصوع ودهلك .

ومما لا شك فيه أن أهم عناصر الائتلاف الذى كان بين البلويين والفونج هو الدين الإسلامى ، إذ كان كلا الفريقين يدين بالإسلام ، وكان كلاهما يرزح تحت نفوذ مسيحي فمن الشرق مملكة الحبشة المسيحية التى أخذت في الاعتداء على السلاطين المسلمين المنتشرين حولها ، وكانت في الغرب مملكة علوة المسيحية اليعقوبية التى كانت القبائل العربية قد نزحت إلى بلادها فراراً من المماليك واضطهاد من قبلهم لها . وكانت هذه المملكة ترى قرب احتضارها على أيدى هؤلاء النازحين ، مما جعل الاتصالات متبادلة بين علوة والحبشة للحصول على قساوسة ينهضون بالدين المسيحى .

وكانت الساحة مشتعلة بالنيران من كل جانب ، فقد كان البرتغاليون يعيثون تدميرا بأساطيلهم ومدافعهم في جنبات البحر الأحمر ، وأخذوا يمدون يد المساعدة إلى الأباطرة الأحباش ، ويؤيدونهم في اعتداءاتهم على الطراز الإسلامي الإفريقي ، وعلى الإمام أحمد قران (الأعسر) الذى كان يريد أن يزيح النير الحبشي المسيحي عن المناطق الإسلامية . واشترك البرتغاليون في ضرب جنوده لفترة من الوقت حتى جاء الأتراك في المنطقة دفاعا عن البحر الأحمر والحرمين الشريفين فساعدوه ببعض البنادق . وأمام هذه التيارات المتقابلة أدت قبيلة بلى العربية واجبها كاملا فأرست دعائم سلطنة الفونج وسلمت القيادة إلى أبناء العباس بن عبد المطلب من الجعليين الذين ورثوا منها الزعامة على بنى عامر ، وإلى أبناء مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي مؤسسي سلطنة الفونج الزرقاء في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، فكان أول ملك أموي تولى الحكم في الأراضي السودانية الملك عمارة دونقس سنة ١٥٠٤م .